

ماذا يستفيد الشرق الأوسط من خسارة الإيزيديين

فيان دخيل لـ«العرب»: سيناريو سنجار 2014 يتكرر في عفرين

صراع مستمر للبقاء، يبدو أن هذا قدر الإيزيديين في منطقة الشرق الأوسط، حيث لا تكاد هذه الأقلية الدينية تلمم جراحها من غارات وصولات المتطرفين، حتى يطل تهديد آخر يسعني لتصفيتها وطمس هويتها، وفي خضم ذلك لا يتوانى الكثيرون عن تحميل هذه الأقلية جانبا من المسؤولية لجهة ميكانزمات الدفاع التي تبنتها على مر القرون والقائمة أساسا على الانغلاق والتقوقع الاجتماعي، ما جعل المخيلة الشعبية للمحيطين تنساق بعيدا في حياكة الأساطير من حولها.

صابرة دوح
كاتبة تونسية



جالية مهمة في أوروبا (خصوصا ألمانيا)، ولطالما واجه الإيزيديون محنا وحملات تصفية على مر تاريخهم الذي يعود إلى أكثر من 4 آلاف عام، ما دفعهم إلى التقوقع على نواتهم في محاولة للحفاظ على كيانهم ومعتقداتهم التي تعود جذورها، بحسب الأبحاث، إلى الزرادشتية.

هذا الأسلوب الدفاعي الذي اعتمده الإيزيديون كان سلاحا ذا حدين حيث أن الانزواء وتجنب الآخر ساهم في حياكة أساطير من حولهم وفي تشكيل مفاهيم مغلوطة من قبيل اعتبارهم "عبدة للنار" و"عبدة الشيطان"، وتكرست هذه الصور المشوهة في المخيلة الشعبية للعديد من سكان المنطقة، كما لعبت الأنظمة المتعاقبة دورا بارزا في الإضرار بهذه الأقلية سواء من خلال الترحيض ضدها أو تهيمشها حتى في العصر الحديث.

وصدم العالم في العام 2014 لتعرض الإيزيديين لمذبحة بشعة في كل من سوريا والعراق خصوصا في منطقة سنجان غربي الموصل على يد عناصر تنظيم الدولة الإسلامية الذين قتلوا حوالي 10 آلاف رجل إيزيدي، وحفظوا واستعبدوا 6 آلاف امرأة.

هزمت تلك الفظائع التي ارتكبتها داعش بحق هذه الأقلية حينها المجتمع الدولي، ولقيت قضيتهم تفاعلا واهتماما سرعان ما خبئ لاسيما بعد إعلان نهاية الحرب على التنظيم الجهادي في العام 2019، ليزرك الإيزيديون أو ما تبقى منهم، يواجهون مجددا مصيرهم بانفسهم.

تقول الناشطة السياسية والنائب السابق عن الكون الإيزيدي في البرلمان العراقي فيان دخيل "اللاسف نشهد اليوم تراجع الاهتمام الدولي وفي دعم منظمات المجتمع المدني للقضية الإيزيدية رغم أنه ما يزال هناك أكثر من 80 في المئة من الإيزيديين يقبعون في المخيمات منذ أكثر من 5 سنوات، وما يقارب 3000 آلاف امرأة ورجل لا يعرف إلى حد الآن مصيرهم، فيما يوجد الكثير من أطفال الإيزيديين الذين اختطفهم التنظيم الجهادي وهم في عمر السنتين والثلاث سنوات لا يدركون هويتهم".

والإيزيديون هم مجموعة عرقية دينية صغيرة يقدر عددها بنحو نصف مليون شخص يتركزون أساسا في العراق لاسيما في محافظة نينوى وفي سوريا وتركيا ولديهم

الإنكشاريون الجدد

يطرق اليوم أبواب أبناء هذه الديانة في شمال سوريا خطر لا يقل عدوانية عن تنظيم الدولة الإسلامية خصوصا في رأس العين من محافظة الحسكة وعفرين من محافظة حلب. ومنذ اجتياح تركيا بدعم من الفصائل الإسلامية السورية لعفرين في مارس 2018 يواجه الإيزيديون حملة تنكيل ممنهجة من خلال إجبارهم على تغيير ديانتهم والانتقال إلى الدين الإسلامي، وحطف المتنعين من أبنائهم وسبي بناتهم وافتكاك أراضيهم ومحاصيلهم، وتكرر ذات السيناريو مع سيطرة أنقرة ومواليها من التركمان والعرب السنة في سوريا على مدينة رأس العين في الحسكة في أكتوبر 2019.

ويعتبر عدنان حسن لـ"العرب" "منذ التدخل التركي في عفرين تم إخلاء 28 قرية إيزيدية من سكانها، من بينها قرية بالثوم الواقعة بالقرب من قرية قسطل المحاذية لمدينة أعزاز، وتم تحويل القرية إلى قاعدة عسكرية تركية، يمنع على الأهالي زيارتها أو الاقتراب منها".

ويلفت حسن إلى أن ممارسات الفصائل الإسلامية السورية في منطقة عفرين شبيهة إلى حد التطابق بممارسات تنظيم داعش، لناحية إجبار الإيزيديين على تغيير ديانتهم، ويستحضر حادثة جدت قبل نحو أسبوع في قرية الغزاوية حيث تم اختطاف ففاعة، واشترطوا على أهمها الدخول في الدين الإسلامي لإطلاق سراحها.



على أمل ولادة جديدة



عبدالرحمن الشمري، نخاس داعش

جبران وأصدقاء منذ آلاف السنين، لكن هناك مجموعات متطرفة اليوم تحمل أفكارا عدوانية ليس فقط للإيزيديين بل حتى للمسلمين الذين لا يشاطرونهم الرأي". وتلفت الناشطة الإيزيدية إلى أن استهداف الأقليات الدينية والعرقية المستمر يهدد جوهر عظمة وجمالية الشرق الأوسط، مذكرة بما خلفه تهجير يهود العراق، وقمع مسيحيي لبنان، وتهميش الأكراد والإيزيديين في سوريا.



فيان دخيل

لا يمكن تخيل الشرق الأوسط دون أكراد وإيزيديين وسريان وأشوريين وكلدانيين ويهود ومسيحيين..

وتقول الناشطة الإيزيدية "إن الشرق الأوسط قام أساسا على التنوع وهو مهبط الرسل والأنبياء ومهد الحضارات التي بدأت كلها على هذه الأرض، ولا يمكن تخيل الشرق الأوسط دون أكراد وإيزيديين وسريان وأشوريين وكلدانيين ويهود ومسيحيين، فهذه الفسيفساء هي سر قوته وأصالتها".



جرح نازف

ويشير المتحدث باسم مجلس إيزيديي سوريا إلى تكرار عمليات خطف النساء وسبيهن في الأشهر الأخيرة، وعلى سبيل الذكر لا الحصر جرى قبل أسابيع سبي امرأة وابنتها في إحدى القرى الفقيرة، وأمام ضغط الأهالي تم إخلاء سبيل الفتاة، فيما بقيت الأم بجوارتهم.

ويعتبر عدنان حسن بأن ما يحدث من قبل الفصائل هو ممنهج ويندرج في سياق مخطط تركيا لتغيير الوضع الديموغرافي للمنطقة، ليس فقط لجهة إجبار الناس على الرحيل، بل وطمس هوية الأقليات في تلك الرقعة الجغرافية عبر تدمير الآثار وهدم المعابد والمزارات في مشهد يعيد التذكير بما قام به داعش في الموصل وتدمر، وبقيله طالبان في أفغانستان. وبلغت إلى أن "حتى القبور لم تسلم من تلك الميليشيات حيث جرى في قريتي عرش قيسار القريبة من عفرين العبث بكل القبور بحجة أننا كفار وملاحدون".

وتقول فيان دخيل إن ما يحصل في عفرين هو نسخة أخرى لما حصل في العام 2014، ومن نفس التطرف ولكن باسماء مختلفة، منتقدة صمت المجتمع الدولي التي قالت إن عليه التحرك بسرعة حتى لا تتكرر مأساة سنجان ويتم إيقاف تلك الجماعات كي لا يتعمد خطرها أكثر.

حقبة سوداء تطل من جديد

استهداف نظام العدالة والتنمية التركي واتباعه من الإسلاميين للإيزيديين ليس وليد غايات سياسية فقط بل دينية أيضا فقد سبق وأن وصف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الإيزيديين بأنهم طائفة غير مؤمنة.

وتلفت النائب السابق في البرلمان العراقي إلى أن مواقف الرئيس